# من أهل السنة؟


■ أ. د. ناصر القفاري
n0380@hotmail.com
@prof_algefari


ما كنت أظن أننا سنحتاج يوماً إلى تعريف أهل السنة لأهل السنة! ثم هل تحتاج المعرفة إلى تعريف؟! فالمعروف لا يعرَّف؛ لأن أهل السنة هم الامتداد الطبيعي لأهل الإسلام الذي انشق عنه المخالفون، فالمخالف هو الذي يُحتاج إلى تعريفه لمفارقته الجماعة وانحرافه عن الحق، ولذا عرف كل مبتدع ببدعته، ونسب إلى عقيدته، أو إلى مخترع مقالته، لكن لما عُقد في عصرنا مؤتمر تحت عنوان: «من هم أهل السنة؟»، وجعل أهل السنة طائفة طارئة على الأمة بدأت مع الإمام أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، كما جرد سلف الأمة من وصف السنة؛ رأيت من الضروري بيان حقيقة أهل السنة.

وما كان لهذا المؤتمر أن يعرف لولا ردود الأفعال التي صاحبته، وذلك لشذوذه البالغ في الراعي له، وهو روسيا الملحدة التي تقتل أهلنا في الشام، وجملة من المشاركين فيه، وتعريفه المنكر لأهل السنة، وهدفه المريب؛ ما حمل الغيورين على استنكاره، وإلا فلو أهمل المؤتمر وقراراته لكان طيَّ النسيان، كما قال الإمام مسلم: «الإعراض عن القول المطَّرح أحرى لإماتته، وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه، غير أنا لما تخوفنا من شرور العواقب، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين، والأقوال الساقطة عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد، أجدى على الأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله»[1].

وأين هذا المؤتمر الذي يفرق ولا يجمع من المؤتمر الذي عقد برعاية رئاسة المشيخة الإسلامية بالبوسنة والهرسك وكان عنوانه: «عقيدة أهل السنة والجماعة - تراث مسلمي البلقان» في المدة من ١٦ - ١٩ شعبان ١٤٣٥هـ، وقد شرفت بالمشاركة فيه ببحث يتعلق بوحدة عقيدة الأئمة، والتعريف بالعقيدة الطحاوية المتفق عليها بين الأئمة في الجملة نموذجاً، وكان معي أخي فضيلة الشيخ الدكتور ناصر العقل، الذي قدم بحثاً يتعلق بمنهج أهل السنة في تقرير الاعتقاد، كما شارك فيه نخبة كبيرة من أهل العلم من أوربا وغيرها، وانتهى بقرارات في غاية الأهمية، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق.

وحتى يتبين خطأ الذين عرفوا السنة كطائفة طارئة بدأت مع الإمام أبي الحسن الأشعري أو أبي منصور الماتريدي ننقل هنا ما قرره أئمة السلف كمالك وسفيان وأحمد وغيرهم في تعريف أهل السنة، وبيان ألقابهم، ومصادرهم، ونشأتهم، وذكر شيء من منهجهم في الاستدلال، وخصائصهم التي تميزوا بها عن باقي الفرق والطوائف.

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٢٨).

## أولاً: تعريفهم:

سئل الإمام مالك عن أهل السنة فقال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»[2]. يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم ينتسبون إليه سوى السنة، خلافاً لأهل البدع؛ فإنهم تارة ينسبون إلى مقالتهم المبتدعة كالقدرية والمرجئة، وتارة إلى القائل كالجهمية والنجارية، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة[3].

وأجاب الإمام مالك مرة أخرى لما سئل عن السنة؟ فقال: «هي ما لا اسم له غير السنة»، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣][4]؛ فليس لأهل السنة اسم إلا السنة.

وأحياناً تعرف السنة ببعض أصولها، كما قال سفيان بن عيينة: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم»[5].

وقال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين... ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره...»، ثم ساق جملاً من أصول اعتقاد أهل السنة[6].

فالسنة تعرف بأصولها التي تلقاها أهلها من كتاب الله وسنة رسوله، ولذلك فإن سلوك طريقهم والدخول

(٢) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص٣٥).
(٣) «التنبيهات السنية على الواسطية» (ص١٩).
(٤) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٧٧).
(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٥).
(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٦).

فـي مسـلكهم والانتظام في جمعهم مرهـون بتحقيق ما دل عليه الكتاب والسنة من أصولهم.

وأحياناً تعرف السنة بالالتزام بمصادر التلقي المعتمدة عندهم والرجـوع إليها في الاعتقاد، قال ابن تيميـة: «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[1].

فأهـل السـنـة هـم الصحابة ومـن اتبعهم بإحسـان، قال ابن حزم - رحمه الله -: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهـل البدعة، فإنهـم الصحابـة - رضي اللـه عنهـم - وكل مـن سـلك نهجهم من خيار التابعـين - رحمة الله عليهم -، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيـلًا إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها - رحمة الله عليهم -»[2].

«وإنمـا سـموا أهـل السـنة (بهـذا الاسـم) لاتباعهم سـنته ﷺ»[3]، ولأنه «ليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسـول ﷺ وأكثـر تبعاً لسـنته مـن هؤلاء، ولهذا سـموا أصحاب الحديث، وسموا بأهل السنة والجماعة»[4].

## مفهوم «السنة» عند السلف:

ولفظ «السـنـة» فـي كلام السـلف يتنـاول الاعتقادات والعبادات، ثم خص عند المتأخرين بالاعتقادات.

يقول ابن رجب - رحمه الله -: «السنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار معنى السـنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين[5] مـن أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سـلم من الشـبهات في الاعتقادات خاصة في مسـائل الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابـة، وصنفـوا في هذا العلم تصانيف وسـموها كتب السـنة، وإنمـا خصوا هذا العلم باسـم السـنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة»[6].

وكذا قال الألوسـي - رحمه الله -: «السـنة في الأصل تقـع على ما كان عليه رسـول الله ﷺ، وما سـنه أو أمر به مـن أصول الدين وفروعه حتى الهَدْيَ والسـمت، ثم خصت فـي بعض الإطلاقـات بما كان عليه أهل السـنة من إثبات الأسـماء والصفـات خلافاً للجهمية المعطلة النفـاة، وخصت بإثبات القـدر ونفـي الجبـر خلافـاً للقدرية النفـاة وللقدرية الجبرية العصاة، وتطلـق - أيضاً - على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل، والكف عما شـجر بين أصحاب رسـول الله ﷺ، وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسـمياته؛ لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر كقولـه ﷺ: «الحج عرفة»[7]؛ أو لأنه الوصـف الفارق بينهم وبـين غيرهم، لذلك سـمى العلماء كتبهـم في هذه الأصول كتب السنة»[8].

**لفظ «السنة» في كلام السلف يتناول الاعتقادات والعبادات، ثـم خـص عنـد المتأخريـن بالاعتقادات**

## المعنى العام والخاص لأهل السنة:

**لفظ «السنة» يطلق بإطلاقين:**

- **عـام:** ويراد به جميع الطوائف والفرق الإسـلامية إلا الرافضة.
- **خاص:** ويراد به أهل السـنة المحضة الخالصة من أي بدعة.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في تقرير هـذا المعنى: «لفظ (أهل السنة) يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخـل في ذلك جميـع الطوائف إلا الرافضـة، وقد يراد بـه أهـل الحديث والسـنة المحضة، فلا يدخـل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن اللـه يرى في الآخرة، ويثبت القـدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[9].

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦).
(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٩٠).
(٣) «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ص١٨٩).
(٤) «التبصير في الدين» (ص١٨٥).
(٥) يلاحظ أن تخصيص مفهوم السنة بأصول الاعتقاد بدأ في عصر متقدم؛ فالإمام ابن أبي عاصم (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) يعرف السنة بمسائل العقيدة، انظر: «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥، ٦٤٧).
(٦) «كشف الكربة» (ص١١، ١٢).
(٧) أخرجه أبو داود في كتاب (ح ١٩٤٩)، والترمذي (ح٢٩٧٩) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في المناسك (ح٣٠١٥).
(٨) «غاية الأماني» (١/ ٤٢٨).
(٩) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٢١).

# ثانياً: ألقابهم:

١. **أهل السنة:** وقد سبق بيانه.

٢. **الجماعة:** يطلق على أهل السنة لقب «الجماعة»، كما في حديث حذيفة بن اليمان، أنه ﷺ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»[١]، قال شارح الطحاوية: «والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[٢].

ومنهم من خصَّ مفهوم الجماعة بأنها جماعة الصحابة أو جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير فلا يجوز الخروج عليه، وهذا اختيار الطبري، أو المراد: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمر، وهو الإجماع، أو: جماعة المجتهدين دون غيرهم من الناس، وهو اختيار البخاري، أو المراد: السواد الأعظم من أهل الإسلام[٣]، وكل هذه المعاني حق.

ثم خص لفظ الجماعة بالاجتماع على مسائل الاعتقاد، قال الإمام أبو حنيفة: «الجماعة أن تفضل أبا بكر وعمر وعليّاً وعثمان، ولا تنتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تكفر الناس بالذنوب وتصلي على من يقول لا إله إلا الله، وخلف من قال: لا إله إلا الله»[٤]. فالإمام أبو حنيفة يعرف الجماعة ببعض مبادئها التي شذ عنها المبتدعة.

**وأما تسميتهم بالجماعة؛ فترجع لأسباب، منها:**

١- أن الجماعة في اللغة هي الاجتماع، وضدها الفرقة[٥]؛ ومن أصول أهل السنة الاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرق والتنازع، وفي المعنى روى البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[٦]. قال ابن حجر: «قوله: (فإني أكره الاختلاف) أي: الذي يؤدي إلى النزاع. قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك: (حتى يكون الناس جماعة)»[٧].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٣٦٠٦)، ومسلم (ح١٨٤٧).
(٢) «شرح الطحاوية» (٢/ ٥٤٤).
(٣) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٣٧).
(٤) «الانتقاء» (ص١٦٣).
(٥) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٧).
(٦) أخرجه البخاري (ح٣٧٠٧).
(٧) «فتح الباري» (٧/ ٧٣).

ولهذا المعنى سمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية - رضي الله عنهما - عام الجماعة، قال ابن بطال: «سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب»[٨].

٢- ولأن من أصولهم طاعة من ولاه الله أمرهم بالمعروف، وبهذا المعنى روى الطبري بسنده أن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد قال: «فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ؛ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة»[٩].

٣- أو لأنهم سلموا من تكفير بعضهم بعضاً فـ«أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضاً، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير، فهم إذاً أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية؛ حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً»[١٠].

**دلالة الاقتران والإفراد لمصطلح أهل السنة والجماعة:**

«السنة» و«الجماعة» لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فإذا اجتمعا وقيل: «السنة والجماعة» يراد بالسنة: طريقة الرسول ﷺ، وبالجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان. وإذا افترقا بأن ذكر أحدهما فقط دخل فيه الآخر، وصار معناهما واحداً.

٣. **السلف الصالح:** مفهوم السلف يطلق بإطلاقين:

الأول: تاريخي، ويراد به أهل القرون الثلاثة المفضلة المشار إليهم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١١]، فيختص بالصحابة والتابعين وأتباع

(٨) «فتح الباري» (١٣/ ٦٣)، وانظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص٢٠٣)، «معالم السنن» (٤/ ٣١١).
(٩) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٤٧).
(١٠) «الفرق بين الفرق» (ص٣٦١).
(١١) متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٤٦٢٩)، ومسلم (ح٢٥٣٣).

التابعين، من أهل القرون الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث.

والثاني: موضوعي، ويراد به كل من قال بما في الكتاب والسنة والإجماع، فيدخل فيهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وسلك سبيلهم من الخلف[1]. وكلا المعنيين حق.

٤. **أهل الحديث والأثر:** قال اللالكائي رحمه الله: «كل من اعتقد مذهباً فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينسب، وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث، فإن صاحب مقالتهم رسول الله ﷺ فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون، وإليه يفزعون، وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون، فمن يوازيهم في شرف الذكر، ويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم؟!»[2].

ويقول ابن تيمية: «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحقَّ بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن»[3].

٥. **الفرقة الناجية:** وهو مأخوذ أيضاً من مفهوم حديث الافتراق المشهور، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[4]. وفي رواية: «كلها في النار إلا واحدة وهي: الجماعة»[5][6]. وفي رواية: قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة»[7]. وفي رواية: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[8].

وهذا يقتضي بمفهومه أن أهل السنة والجماعة المتبعين للنبي ﷺ وأصحابه هم الفرقة الناجية دون من سواهم، قال ابن تيمية: «ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء»[9]. وقال أيضاً: «أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ»[10].

**«السنة» و «الجماعة» لفظان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا**

وإذا قيل: الفرقة الناجية فلا يلزم منه أن كل من خالفها فهو هالك؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً وقد لا يكون ناجياً، كما يقال: من صمت نجا»[11].

٦. **الطائفة المنصورة:** أهل السنة هم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[12].

وستبقى هذه الطائفة «ظاهرة بالحجة والبيان واليد والسنان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[13]، وهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]؛ فهم منصورون، والعاقبة لهم.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٥).
(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٤).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٥).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في «المسند» (٨٣٩٦)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في «الشريعة» (ص ١٨).
(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣).
(٦) انظر: أبو داود (ح٤٥٧٣)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والآجري في «الشريعة» (ص١٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ١٢٨).
(٧) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢).
(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٤١).
(٩) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥-٣٤٦).
(١٠) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٧).
(١١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٩).
(١٢) أخرجه مسلم (ح١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه.
(١٣) «الجواب الصحيح» (٥/ ٩٢) لابن تيمية.

## ثالثاً: نشأتهم:

«إن أهل السنة والجماعة هم الامتداد الطبيعي للمسلمين الأوائل الذين تركهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ولا نستطيع أن نحدد لهم بداية نقف عندها كما نفعل مع باقي الفرق، والسؤال عن نشأة أهل السنة والجماعة ليس له موضع، كما هو الحال إذا تساءلنا عن منشأ الفرق الأخرى»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وطريقتهم [أي أهل السنَّة] هي دين الإسلام، لكن لما أخبر النبي ﷺ: أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[٢]، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة»[٣].

لذلك فلا وجه للسؤال عن نشأتهم، كما يسأل عن نشأة الفرق؛ لأن مذهبهم هو مذهب الصحابة الذين تلقوه عن رسول الله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من يربط نشأة أهل السنة ببعض أعلام الأمة: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة.. وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة.. فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً؛ بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة.. وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر[٤] فصار إماماً من أئمة السنة، وعلماً من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأياً»[٥].

ولهذا نرى الإمام اللالكائي - رحمه الله - يفتتح كتابه القيِّم: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» بذكر أئمة السنة الذين ترسموا بالإمامة بعد رسول الله ﷺ، فيبدأ بذكر أبي بكر والخلفاء الثلاثة بعده، وبقية أئمة العلم والدين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى زمنه رحمه الله، وقد ذكر كثيراً من أئمة أهل السنة في معظم الأمصار الإسلامية[٦].

أما الأصل في تسميهم بأهل السنة فهو ما ورد من النصوص التي تأمر باتباع السنة، ولزوم الجماعة، فالتسمية مأثورة في السنة وواردة في كلام السلف.

(١) «نظام الخلافة في الفكر الإسلامي» (ص٢٩٢).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) « مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٩).
(٤) «منهاج السنة» (٢/ ٤٨٢، ٤٨٣).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٤٨٦).
(٦) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٣١).

## رابعاً: مصادر أهل السنة:

قال الإمام البيهقي: «فأما أهل السنة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة»[٧]، وإجماع سلف الأمة.

**فالمصدر الأول** في التلقي عند أهل السنة هو كتاب الله، وأحسن الطرق في تفسيره وفهمه: تفسير القرآن بالقرآن، وإلا فبالسنة، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة، وإلا فبما أجمع التابعون عليه[٨].

**والمصدر الثاني** «السنة»، وهي المبينة للكتاب؛ إذ هي سنة المعصوم رسول الله ﷺ وليس لأحد عصمة بعده ﷺ، وقد تلقى الصحابة - رضوان الله عليهم - ما جاء به ﷺ ونقلوه إلى الأمة.

ويتمثل وجود السنة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومثل المسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد وغيره، إلى غير ذلك من مدونات الحديث النبوي والتي هي أشهر من أن يعرف بها.

وهناك مدونات خاصة بالعقيدة اقتصر جامعو أحاديثها على مسائل الاعتقاد.

ولعل أول من قام بذلك الإمام حماد بن سلمة المتوفي سنة ١٦٧هـ وقد قارب الثمانين. قال الذهبي: «هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة»[٩]، كما

(٧) «مناقب الشافعي» (ص٤٦٢).
(٨) راجع في هذا الموضوع مقدمة التفسير لابن تيمية في «الفتاوى» (١٣/ ٣٦٣) وما بعدها.
(٩) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٢).

جمع أيضاً الأحاديث والآثار المروية في عقائد أهل السنة طائفة من الأئمة منهم:

- عبد الرحمن بن مهدي[1]، المتوفى سنة ١٩٨هـ، الذي قال فيه الإمام الشافعي: «لا أعرف له نظيراً في الدنيا» يعني في زمنه، وقال علي بن المديني «أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي».
- وكذلك عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، شيخ الإسلام بسمرقند صاحب المسند العالي، والتفسير، والجامع[2]، والذي حدث عنه مسلم وأبو داود والترمذي والمتوفى سنة ٢٥٥هـ.
- وعثمان بن سعيد الدارمي الحافظ محدث هراة وأحد الأعلام الثقات صاحب كتاب «الرد على الجهمية» و«الرد على بشر المريسي» والمسند، توفي سنة ٢٨٠هـ[3].
- وأبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ المعروف بـ«الأثرم» الحافظ الكبير صاحب الإمام أحمد، قال الذهبي صنف التصانيف، له كتاب نفيس في السنن يدل على إمامته وسعة حفظه[4].
- وأبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الإمام الحافظ الحجة صاحب كتاب السنة المتوفى سنة ٢٩٠هـ[5].
- وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون المشهور بالخلال صاحب كتاب «السنة» و«الجامع»، توفي سنة ٣١١هـ[6].
- وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني صاحب «المعجم الكبير»، و«المعجم الأوسط» و«المعجم الصغير» وكتاب «السنة» و«دلائل النبوة» و«الرد على الجهمية» و«التفسير»، توفي سنة ٣٦٠هـ[7].
- وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني حافظ أصبهان وإمامها والمحدث الثقة، والمفسر المشهور صاحب كتاب «العظمة» أو «عظمة الله ومخلوقاته» وغيره[8]، توفي سنة ٣٦٩هـ.
- وأبو بكر محمد بن الحسين الآجري مصنف كتاب «الشريعة» و«التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» توفي سنة ٣٦٠هـ[9].
- وأبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، الإمام شيخ الإسلام والحافظ الشهير صاحب السنن، ومصنف كتاب «الصفات» و«أحاديث الصفات»، و«أحاديث النزول» و«فضائل الصحابة ومناقبهم» و«ما ورد من النصوص المتعلقة برؤية الباري سبحانه» وغيرها، توفي سنة ٣٨٥هـ[10].
- وأبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصفهاني، الذي تلقى العلم من ١٧٠٠ شيخ في أقطار العالم الإسلامي ومن آثاره: «كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته» و«الرد على الجهمية» وغيرها، توفي سنة ٣٩٥هـ[11].
- وأبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، الإمام الحافظ الفقيه، ومحدث بغداد، وصاحب كتاب السنة والسنن المتوفى سنة ٤١٨هـ[12].

قال الإمام البيهقي: «فأما أهل السنة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة

(١) انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٧٩).
(٢) ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٣٥٤)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٩٤-٢٩٦)، وانظر: «تاريخ التراث» فؤاد سيزكين (١/ ١٧٢).
(٣) ترجمته في «طبقات الشافعية» (٢/ ٣٠٢)، «مرآة الجنان»: ٢/ ١٩٣، «تاريخ التراث» (٢/ ٣٧٠، ٣٧١).
(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ»: ٢/ ٥٧٠-٥٧١، «تاريخ بغداد» (٥/ ١١٠، ١١٢)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٤١-١٤٢) «تاريخ التراث» (٢/ ٢٠٩).
(٥) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٠، «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٤١، ١٤٣)، «تاريخ التراث» (٢/ ٢٠٠).
(٦) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٧٨٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٤٨)، «تاريخ بغداد» ٥/ ٣١٢-٣١٣، «تاريخ التراث» (٢/ ٢١٢).
(٧) انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠٧)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩١٢)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٥٩-٦٠)، «تاريخ التراث» (١/ ٢١٨).
(٨) انظر: «طبقات الحفاظ» (٣/ ٩٤٥)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ١٣٦)، «شذرات الذهب» (٣/ ٦٨)، «تاريخ التراث» (١/ ٣٢٦).
(٩) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٩٦)، «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٣)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٧٠)، «تاريخ التراث» (١/ ٣١٤).
(١٠) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٤)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٩١)، «غاية النهاية» ص٥٥٨)، «تاريخ التراث» (١/ ٥٠٩).
(١١) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٣١)، لسان الميزان (٥/ ٧٠-٧٢)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ١٩٠-١٩١)، «تاريخ التراث» (١/ ٣٥٣).
(١٢) انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٧٠-٧١)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٨٣)، وانظر: «تاريخ التراث» (٢/ ١٩٤)، «فهرس المخطوطات» للألباني (ص٣٨٤).

- وأبو عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري المعروف بابن بطة صاحب «الإبانة الكبرى»، و«الإبانة الصغرى»، توفي سنة ٣٨٧هـ[١].
- وأبو عمر أحمد بن محمد المعافري الأندلسي الطلمنكي، عالم أهل قرطبة، والذي روى عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم، والذي كان - كما يقول ابن بشكوال - سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، وكان - كما يقول الذهبي - حافظاً للسنن إماماً عارفاً بأصول الديانة، ذا هدى وسمت واستقامة، توفي سنة ٤٢٩هـ[٢].
- وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الحافظ الكبير، محدث العصر، مصنف «حلية الأولياء» و«المعتمد» و«فضائل الصحابة» و«دلائل النبوة» وغيرها، والمتوفى سنة ٤٣٠هـ[٣].
- وأبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الأنصاري الهروي، الإمام العلامة الحافظ صاحب كتاب «السنة والصفات» و«الجامع» و«دلائل النبوة» توفي سنة ٤٣٤هـ[٤].
- وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان، والذي قال فيه الذهبي: «عمل كتباً لم يسبق إلى تحريرها»، منها: «الأسماء والآثار» و«شعب الإيمان» و«دلائل النبوة» و«السنن الصغيرة» و«البعث والمعتقد» وغيرها، توفي سنة ٤٨٥هـ.

هذه من مصنفات الأئمة آثارهم تؤكد وحدة اعتقادهم لاعتمادهم[٥] على المأثور عن الرسول ﷺ.

ومما تنبغي الإشارة إليه والتنبيه عليه أنه - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -: «قد يقع في هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة، وقد يروي كثير من الناس في الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ»[٦].

وقد أقام الله سبحانه من يحفظ سنَّة نبيه ويعنى بتمييز صحيحها من غيره ويضع المقاييس والضوابط لذلك، وقامت دراسات دقيقة ومحكمة لمتون الأحاديث وأسانيدها حتى تحققت معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها، واطمأن المسلمون على سنة نبيهم، وهذا تحقيق وعد الله بحفظ كتابه؛ لأن السنة هي المبينة للكتاب، وتحقيق لوعد رسول الله ﷺ بأنه «لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله»؛ لأنه لا بقاء لها على الحق إلا بحفظ الله لمصادر التلقي لها.

ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه لعرفوا أنه قد حرف عن موضعه، كما وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد إلى بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها فقال: لا أعرف هذه ولكن حدثني فلان، ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح وردّ كل متن إلى سنده[٧].

والإجماع هو الأصل الثالث عندهم في تلقي الاعتقاد، والمقصود إجماع السلف؛ لأنه بعدهم كثر الاختلاف وتفرق الناس، ولهذا قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم»[٨]. والأمة لا تجمع على ضلالة، وقد يخطئ بعض الأئمة؛ إذ لا عصمة إلا لرسل الله، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الوحي، ولكن لا يجمعون على خطأ بحمد الله.

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٤-١٥٣)، «المنهج الأحمد» (ص٦٩-٧٣) (وسماه فيه عبد الله).
(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٩٨)، «الديباج المذهب» (ص٣٩-٤٠)، «بغية الملتمس» (ص١٥١)، «شذرات الذهب» (٣/ ٢٤٣-٢٤٤).
(٣) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٩٢)، «لسان الميزان» (١/ ٢٠١، ٢٠٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٥).
(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٠٣)، «تاريخ التراث» (١/ ٣٨٨).
(٥) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٣٢)، «طبقات الشافعية» (٤/ ٨-١٦)، «مرآة الجنان» (٣/ ٨١-٨٢)، «شذرات الذهب» (٣/ ٣٠٤-٣٠٥).
(٦) «عقيدة أهل السنة»، لابن تيمية، بتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص٢٠).
(٧) انظر: «هدي الساري» (ص ٤٨٦)، «مقدمة ابن خلدون»: (٣/ ٩، ١٠). قال الصنعاني في «توضيح الأفكار» عن قصة البخاري مع علماء الحديث في بغداد، (وهي مشهورة أخرجها ابن عدي عن مشائخ البخاري، وأخرجها أبو بكر الخطيب في «التاريخ» في غير موضع وساقها الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح بإسناده). «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» (ص١٠٣ - ١٠٤).
(٨) «أصول السنة» لأحمد بن حنبل (ص١٤).